

فلسطين ، مشيراً الى الصعوبات التي ظل المهاجرون الالمان والاميركان يعانون منها* . ولما اثار هذا المقال ثائرة المستوطنين اليهود في فلسطين ، الذين كانوا أساساً يعارضون مشروع الارجتين بشدة ، ذهب نيتز الى فلسطين ليصالحهم ، ثم مات بعد ذلك بفترة قصيرة . ومن الجدير بالذكر ان شماريهاو ليفين الذي قاد الطلاب اليهود في مظاهرات ضد مشروع الارجتين ، اعترف هو نفسه في كتاب له صدر عام ١٩٢٧ بعنوان « شباب في ثورة » بصعوبة الظروف التي كان المستوطنون اليهود الاوائل يعانون منها في فلسطين ، قائلاً ان هذه الظروف لم تسمح بدعوة اليهود الذين طردوا من موسكو عام ١٨٩١ الى الاستقرار في فلسطين .

ويذكر غرونفالد ان هيرش كان على علاقة وطيدة بجمعية هوفيفي صهيون ، وهي الجمعية الصهيونية التي سبقت حركة هيرتزل ، وان البارون اعترف بالصلة التاريخية التي تربط اليهود الى فلسطين . ولكنه يفسر فتوره تجاه المشروع الفلسطيني بنفوره من وقوع الدولة اليهودية العتيدة تحت السلطة العثمانية ، تلك السلطة التي كانت له معها تجربة غير سارة . ثم يبين غرونفالد ان موقف اللورد ناتانيل روتشيلد (البريطاني) كان مماثلاً لموقف هيرش وذلك لنفس السبب ، ولكنه تحول بعد ذلك ليصبح أحد أتباع هيرتزل المتحمسين . أما ابن عمه الفرنسي البارون ادمون فقد قاد حركة تسلسل هادئة في فلسطين تحت ستار الهجرة الطبيعية التي لا تحمل في طياتها هدفاً سياسياً ، وهذه الحركة جعلت يهود فلسطين يلقبوه : ابو اليسوف . ولكن غرونفالد يعود فيقول ان ادمون استمر يعارض الصهيونية السياسية حتى انه أرسل مبعوثاً شخصياً يدعى سيلفين ليفي الى مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في فرساي عام ١٩١٩ ، ليعارض فكرة الدولة اليهودية** . (قصة غير معقولة) . ولم يكن خوف هيرش من توطين اليهود في فلسطين ناجماً عن نفوره من العثمانيين ، فحسب ، بل كانت خشيته الرئيسية هي من قرب روسيا . فهيرش ، مثله في ذلك مثل بقية اليهود آنذاك (واليوم) كان يعتبر روسيا عدوة اليهود اللدود ، ويتوقع أن تترث يوماً ما أملاك الدولة التي لقبها أحد القياصرة : رجل أوربا المريض . فروسيا القيصرية ذات مطامع واضحة في سوريا ، لا سيما انها نصبت نفسها حامية للمسيحيين الاورثوذكس ، وتغلغلت في فلسطين بواسطة الارساليات . وبينما استمرت رقعة الدولة العثمانية في التقلص والتضاؤل على مدى القرن التاسع عشر ، كانت الامبراطورية الروسية تتوسع على نطاق هائل . ففي الغرب ابتلع الروس بولنده وفنلنده واقتطعوا جزءاً من رومانيا . وفي الجنوب اكتسحوا اقاليم القفقاص وضموا جورجيا وارمينيا وداغستان وغيرها ، وكان توسعهم هذا على حساب الامبراطوريتين الاقلتين : العثمانية والفارسية . وفي الشرق القريب ضموا الاقاليم الواقعة شرقي بحر قزوين ، أي تركستان وأوزبكستان وبلاد القرغيز الخ . . . وفي الشرق الاقصى توسعوا على حساب الصين ، فضموا بلاد المغول واقليمي أمور وأوسوري الى أن تاخمت حدود امبراطوريتهم المترامية الاطراف جزر اليابان وكوريا . وهكذا أصبحت الامبراطورية الروسية تأتي بعد الامبراطورية البريطانية مباشرة في حجم الممتلكات .

الا ان سادة بطرسبرغ لم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يطمعون بالتوسع في اتجاه البحر

* هؤلاء المهاجرون كانوا من المسيحيين الاتقياء الذين اختاروا العيش في فلسطين لانها وطن المسيح ، ولم يكن لهم أي هدف سياسي . وقد طردهم اليهود من البلاد حال تأسيس اسرائيل .

CF. S. S. Sabatay, An Early Zionist Affair, *Jerusalem Post*, January 1, 1965. **